

أيام العروبة تبدأ في سورية !

للدكتور عبد الوهاب بك عزام

—>>><<<—

سورية الكريمة العزيزة ، سورية الجميلة الجليلة ، سورية العربية الأبية ، سورية الشجاعة الجريئة المجاهدة الصابرة تمثل اليوم عنها المار ، وتستقبل الكرامة ، وتبسم للحرية بمد أن طال عبوسها للمبودية ، وتطوى صحيفة لمدوها سوداء لتشر صحيفة لنفسها بيضاء ، وتحمّ جهاد المعتدين لتبدأ جهادا في الحياة السميدة المحيطة ، وتستأنف سيرتها العظيمة لتصل حاضرها الكريم ، وماضيها الخالد بمستقبلها الوضاء .

دمشق العتيقة الحديثة ، دمشق الماضية الحاضرة التي ثبتت للخطوب ثبات قاسيون ، وابتسمت للدمخن ابتسام مروجها وجناتها دمشق بمجتمع الأحداث قد زخرت فيها كما اندفعت في البحر أمهار

دمشق قد استدار لها الزمان ، ورد عليها الدهر مجدها المشود ، فهي اليوم ظانفة فرحة تأسو جراحها ، وتمد للمستقبل عدتها . قد أنجحت عنها الغمرات كما ينجلي النقع عن البطل المرزا يمصب جراحه ولواء النصر في يده .

مرزا بتلقى الخطب منصات تنشق عنه من الأهوال أجفان ليت شمري كيف النوطة والريوة ودمر والهامة اليوم ؟ أرى أشجارها تنميل طربا ، وأوراقها تصفق فرحا ! وكيف قاسيون ذو القمة الجرداء والسفح الأخضر .

نسررى اللّوح منه عامة عطّلاً لكنه ذنب الظاؤوس جرار كيف قاسيون اليوم ؟ آراه شيخ برأسه عزة ، بمد أن رى عنه آثار المذلة . وحلق على الرياض فرحا في هذا النهار ، بمد أن وقع كئيبي في ذلك الليل ؟

وكيف برّدى ذو الفروع السبعة ؟ أهوال اليوم جذلان مطرد يصفق مائه بنسيم الحربة ، وتمحو جريته الظلال البنيضة التي تراءت على صفحته سنى الاستعباد ؟

الآونة لما كان بقاؤهم وراء النوافذ المفلقة خلوا من الرأى السديد أو بعيدا كل البعد عن وجه الصواب .

ونحسب بعد هذا أن الخروج من شم النسيم بأفحوكه واحدة أو بمفارقة واحدة فريضة لا فكاك منها لنحية العيد الذي يسمى بعيد الربيع وعيد الشباب والحب والجمال . وهل يستحق الربيع اسمه إذا ترّعت فيه الدنيا عن الأضحيك والمفارات ؟

ربما كان من مفارقاته الخالدة أننا نحن المصريين احتفلنا به زمنا إذ كان الاحتفال به — بين ظهرانينا — احتفالا بالجماعة منا والخروج من بلادنا . وأتانا قد وصلنا به ما تقدم من تاريخنا المريق كأنما كانت فترة بنى إسرائيل عارضا بين فصول الرواية الأبدية لا يدخل في حساب المؤلف الخالد مؤلف التواريخ والأحساب ، وقد كانت تلك الفترة المارضة صفحة متجاوبة الأصداء ، لا يخفت دويها المتتابع مع الزمن في مسامع بنى آدم وحواء .

عباسي محمود العقاد

قال مشجبا : ما بالكم تسجنون أنفسكم هذا السجن الثقيل في هذا اليوم البديع ؟

قلنا : قدر أهون من قدر . أليست حبة الهواء هنا أهون من نار القضاء خارج الدار ؟

فضحك وهو يقول : أى نار قضاء ؟ إن القضاء ليخفق بالنسيم الجليل ، وإنه كما يقولون ليشفى العليل .

وتقدم إلى النافذة ففتحها ، وتقدم غيره إلى نافذة غيرها ففتحها ، فإذا بالنسيم كما وصفه جميل يشفى العليل !

ونظر بعضنا إلى بعض متضاحكين ، وفاتنا ونحن خلاصة ذوى الرأى أن نجازف بالتجربة ، فنغم نصف النهار ونستريح من كل ذلك المذاب .

وطرافة القصة كلها فيها ساقه فيها الزعم الكبير من العبارة وأحاطه بها من التهمك والفكاهة ، ولكنه قد جار على نفسه هنا وجار على أصحابه بعض الجور لأخذهم بجانب الخطأ وحرمانهم جانب الانتفاع بحق « الرأفة » في الحكم أو بحق الصواب . فلو اتفق أن الهواء كان على عادته من الحرارة والنبار في تلك

يادار هذا أوان السمد فاعتبطى لأعادك التحس بعد السمديادار
 وحمّة المجاهدة ، هل تبدّل أنين نيرها غناء ، واستحالت
 دموعها في البساتين ماء ؟ ما أجل غناء النواعير في حمّة اليوم !
 قد مضى عهد البكاء ، فليدم اللهم هذا الغناء .
 وكيف أبو الفداء في قبره اليوم ؟ يا أبا الفداء لقد طال
 الهجود ، فقم وأضف إلى تاريخك هذا الفصل الجديد .

* * *

يا سوريتنا الجميلة الحبيبة ! حيا الله فيك كل مدينة وقرية ،
 ونضر كل دارة وبقعة ، وحياك السمدم مطرداً مع الزمان ، دائراً
 مع السنين .

ورحم الله كل مجاهد أمدك بحياته ، وسقى ترابك بدمه ،
 وثوى في الأرض كلمة باقية في سطور تاريخك الخالد .
 ونضرائه وجوه المجاهدين الأحياء ، الذين صبروا وصابروا ،
 وبسبوا للخطوب السود في الظلام المسكهر حتى تبلج الصباح .
 « فإوهنوا لما أصابهم في سبيل الله وماضفوا وما استكانوا »
 وحياء الله هذا الرئيس الأمين ، الطاهر القلب ، المبارك
 الناصية « شكري » شكر الله مساعيه ، وحياساً أصحابه الكرام ،
 وحياء كل من شارك في تحرير سورية بيده أو لسانه .

وبعد فياسوريتنا العزيزة ، قد رفع الزمان الأعباء عن كواهل
 الأعداء فوضمها على كواهل الأبناء ، فليحملوا أعباء الواجب ،
 وليؤدوا تكاليف المجد ، وليبنوا مستقبلهم بأيديهم لأنبائهم ،
 وليعلموا أن حاضر العرب يؤمل فيهم ، وماضي العرب ينتظر
 إليهم ، ومستقبل العرب ينتظرهم ، فليجمعوا القلوب والأيدى ،
 وليحسنوا البناء .

ألا إنه قد فتحت لهم صحائف في التاريخ جديدة ، فليجيدوا
 الكتابة في هذه الصحائف التي تخلد كل شيء .
 إنهم بينون أجيالا ، ويكتبون تاريخاً ، فلينظروا كيف
 بناء الأجيال وكتابة التاريخ .
 يا سورية الجميلة ! إن أبناءك اليوم قد رجعوا من الجهاد
 الأصغر إلى الجهاد الأكبر .

عبد الوهاب عزام

وليتني أرى الآن جامع بني أمية هل نطقت جوانبه تسيحاً
 وتهيلاً ، وهل تهم قبة النسر بالتحليق كما يحلق الطائر الوحشي
 قطع الشرك أو انفتح عنه المحبس ! ؟
 وكيف أبطال تاريخنا في المدينة وحولها ! كيف معاوية
 والوليد؟ وكيف نور الدين وصلاح الدين؟ وكيف الظاهر والمادل؟
 وكيف أبطال الجلاد في عصرنا الذين نازلوا الباطل المدجج عزلاً
 فززلوه حتى هدموه ؟

وليت شمري هل انبعث الأذان من قبر بلال في مقبرة الباب
 الصغير إيداناً بالفجر من هذا العهد المبارك ؟

* * *

وحلب الشهباء ، مدينة سيف الدولة والتنبى ، حلب التي
 أمدت الثغور بأبنائها قروناً ، ودفعت الروم عن الشام عصوراً ،
 كيف جذلها اليوم ، وأين متنبها ينشد قصائد المجد ليرويها الدهر؟
 وكيف قلعة حلب اليوم وقد لفظت المذلة ، واعتزت بما فيها
 من آثار المجاهدين الأولين . لقد دخلتها أول مرة قبل خمسة عشر
 عاماً ورأيت جنود السنغال فيها يخطرون ، وينهون ويأمرون
 فأنشدت وفي النفس ما فيها من حسرات :

سادات كل أناس من قومهم

وسادة المسلمين الأعبد القزم

فقد رفع اليوم عليها لواء الحرية ، ورحض عنها عار العبودية ،
 خالت بناء جديداً ، ومرأى حميداً ، وكان كل شيء فيها قد استحال !
 ليت شمري هل نطقت فيها الآثار الصامتة ، وضحك على بابها
 الأسد الباكى (١) .

* * *

وليتني اليوم في حمص أقف في روضتها كما وقفت من قبل ،
 أستمد من ضريح خالد بن الوليد كل معنى جليل ! ليتني اليوم على
 قبر خالد أبشره أن الزمان قد استدار ، واستقلت الشام بأبنائها
 الأحرار ، فليصق نهر العاصمى طرباً ، وليزهو الديماس فرحاً فقد
 أقبل الربيع بربيع الطرية الناضر ، وعدها الزاهر .

(١) في مدخل القلعة سورتان من الحجر لأسدين يقال إن أحدهما
 يضمك والآخر يكي .